السبيَّبة، طقـوس وشـعائر في واحة جانت الجزائرية في قلت الصحراء الكبرى والتى تصادف يوم عاشوراء. ومعاناة صحافة العراق. وفي «فكرة»: لاجئو السودان في الأردن، الهروب من العنف إلى العنف.

للعلاقة بين النضالات الطبقية والاحتماعية «المفرِّقية»، والمسألة الوطنية «الجامعة»، وموقع «البرجوازية الوطنية». وبخصوص الثورة الثالثة في «الزاوية الحمرا».

في طريق النضال للتحرر الوطني

القلسطيني: أسللة ومراجعات

الخميس 31 كانون الأول 2015 – الموافق 20 ربيع الأول 1437 هـ – العدد 13258

AS-SAFIR Arabic political daily - Thursday December 31, 2015 N° 13258

شارع الاسكندرون بحلب لا يوصل

إلى اللواء المفقود. و «بألف كلمة»:

عيدا الميلاد ورأس السنة في

ست لحم. و«الحلم» من العراق

لىستعبىد بهاءه. وعلى الموقع:

الكوتا النسائية بالغرب، والوصول

الشاق الى الجامعة بموريتانيا.

الثوار بالخيانة والعمالة للخارج. وعلى الأرض، ويوماً بعد

يوم، اكتسب الجيش قدرات أوسىع على القمع انتهت

بالمذبحة الأولى في ماسبيرو عندما قامت قوات تأمين

مبنى التلفزيون بقمع احتجاجات الأقباط في أيلول/

سبتمبر 2011. إلا أنها لم تكن كافية لتوسيع قدرته

على القمع والبطش بجموع أوسىع تتسم بالتنوع. وهكذا

انخرط في بدايات معارك شارع «محمد محمود»، ورأى الجميع المشهد البشع، من سحل الشباب وإلقاء بعض

الأجساد كأكياس القمامة، وهي التي لا نعلم حتى الآن

# لقتل في الدولة والموجة الثورية القادمة

يشكل سؤال إمكانيات أي نظام في قمع تمرد أو ثورة ضده هاجساً كبيراً لدى الباحثين في مجال دراسة الثورات والحركات الاجتماعية. وتدور حول هذا السؤال عدة إشكاليات وأسئلة أخرى مثل: مدى إمكانية أي حركة في النجاح، قدرة النظام على الصمود، إمكانية اندلاع حرب أهلية، مقدار العنف والدموية داخل التمرد، مدى تماسك أجهزة الدولة القمعية، مآلات الحركة.. حيث تحدد تلك الحوانب، وعلى الأخص منها مستوى العنف في سياق أي ثورة أو تمرد، ملامح المستقبل وشكل النظام والدولة المُقبلين.

### الحيش و25 بنابر

حتى الآن لم يتبين ما إذا كان الجيش المصرى قد تلقى أوامر بإطلاق الرصاص الحي أو قمع المتظاهريّن أم لا. وظف الجيش إعلامياً وخطابياً عدم إطلاقه النار على الثوار، وبأنه من قام بحماية الثورة. كما تناول شرف الجندية والعسكرية، وأنه جيش لكل المصريين، وأنكرت قيادته العليا في ذلك الوقت (المشير محمد حسين طنطاوي) بأن مبارك أعطى أوامر للجيش المصرى بقمع المتظاهرين. عدم قمع الجيش للموجة الأولى من الثورة المصرية حال دون شك من تصعيد مقدار العنف، بل حمى الجيش نفسه من تبعات مثل هذا القرار، إذ حافظ أولًا على وحدته وتجانسه العام والمؤسسى، وأكسبه ثانياً أرضية شعبية واسعة مكّنته من تسلم مقاليد الحكم كاملة دون مقاومة تذكر، ومنحه ثالثاً شرعية دولية في إدارة الدولة وتمثيلها عالمياً، وحافظ رابعاً على الدولة كَأرض وسيادة.. أي أن جهاز الدولة متمثلًا في الجيش المصرى استطاع الحفاظ على الدولة بمفهومها الكلاسيكي كسيادة على القرار. وظلت سيادته مبسوطة على الإقليم المصري حتى سيناء في ذلك الوقت. وهذا على الرغم من أختفاء «الداخلية» بالكلية وهزيمتها الثقيلة التي أفقدتها توزانها وحضورها الشرطي والاجتماعي لمدة ثلاث سنوات تقريباً. ومكّن هذا الأمر الجّيش من قدرة ا عالية على ردع الثورة وحصر شرعية الميدان في الحقلين الرمزي والاحتجاجي. وفي هذا، نجحت الدولة في حصار الثورة وتحويلها من فعل مباشر يقوم بالاستحواذ على السلطة وعلى قطاعات مجتمعية، إلى فعل يستحوذ فقط على الرمز. وظلت شرعية الميدان محصورة فقط بالمطالبة من الدولة والضغط عليها لتحقيق أهداف الثورة، ما قرر مسار الثورة إلى وجهة التحول الديموقراطي والإصلاحي وأنهى احتمال الوجهة الجذرية.

شرعية المبدان كانت بالفعل قوية للغاية آنذاك، وهي كانت سلطة سياسية بحد ذاتها، لكنها لم تستطع تحويل نفسها إلى شرعية قادرة على تقاسم السلطة بجدية، أي على إنتاج القرارات مباشرة لا عبر المجلس العسكري. وقد يكون هذا الأخير قد تعرض إلى اهتزاز كبير في سلطته، وكان مضطراً للانصياع لطلبات ورغبات الميدان رغماً عنه، إلا أنه نجح في التمترس على خط شديد الذكاء وهو أنه لن يمرر أي قرار إلا من خلاله وبموافقته، حتى ولو كان مرغماً عليه. والأهم، أنه كان منشغلًا بألا تخترق الثورة الدولة بأنسجتها المختلفة وشبكاتها الاجتماعية. ومن هنا، نجح في الحفاظ على الدولة كجهاز وسيادة وشرعية ومؤسسات، وأيضاً على منظومة السلطة كاملة، كشبكات ممتدة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والمؤسسية، تتمركز الدولة بقلب علاقاتها.. كانت هذه النتائج كلها هي مكاسب هذا التموضع الذكي من الجيش بين الثورة والدولة، نتيجة لعدم أخذه قراراً بالقمع المباشر.



المُوجة الأولى من الثورة؟ الفرضية الأولى في الإجابة عن هذا السؤال، من قبل الجيش نفسه والنخب السياسية وبعض الثوار، هي أن تركيبة الجيش المصري تركيبة وطنية نتيجة لتاريّخه وتكوينه، ولكونه جيشاً نظاميّاً قوامه الرئيسي من التجنيد الإجباري من عموم الجمهورية. وعموما، هناك جدل نظرى كبير حول طبيعة الجيوش وقدراتها على القمع، يمكن تلخيصه برأيين كبيرين: الأول يتبناه جاك غولدستون الذي يرى أن قدرة الجيوش النظامية على القمع أعلى بكثير من غيرها، لتماسكها المؤسسى والإيديولوجي. بينما يرى وليم زارتمان أن الجيوش النظامية أميل للانسحاب من المواجهات الجماهيرية الواسعة، ويدلل على ذلك بحالتي مصر وتونس، حيث فضل الجيشان قرار عدم المواجهةً خوفاً من تفكك المؤسسة وتركيبتها الشعبية. يرتكز رأى زارتمان المتقارب مع رأى النخبة المصرية على أمرين وجيهين. الأول هو أن تركيبة أي جيش في العالم تحدد قدرته على قمع مواطنيه في مواجهة مفتوحة، حيث إنه لو كان قوام الجيش من المواطنين فسيتردد أفراده في إطلاق النار على بقية أبناء الوطن في مواجهة يعلم الجميع أن الجميع منخرط بها. ثانيا لو اتخذ القرار واضطرت بعض الفرق للاشتباك، فمن المتوقع حدوث انقسام واسع داخل الجيش نفسه في مراحل لاحقة في حال استمرار القمع. ثالثاً، تحدد الإيديولوجيا ملامح كبيرة من قدرة الجيوش على القمع، حيث تُعرِّف العلاقة مع الواقع ومن هو العدو، والجيش المصري، على الرغم من تناقضاته التي تصل إلى حالة الفصام أحيانا (بعد اتفاقية كامب دافيد مثلًا)،

إلا أن إيديولوجيته ظلت قائمة على وضع إسرائيل في خانة العدو الأول، وتقديس الشعب تقديسا ميتافزيقياً أحيانا، بينما تاريخياً، لم تتورع الداخلية المصرية عن قمع الجماهير ومواجهتها في كل ثورات وتمردات مصر الحديثة، فيما كان الجيش يؤثر الانسحاب، باستثناء إخماده لتمردات الصعيد ضد التجنيد الإجباري أثناء فترة محمد على. وتشكل الإيديولوجيا الوطنية عماد الجيش المصري ورؤيته لنفسه كحامل لواء الاستقلال الوطنى والتحرّر من الاستعمار منذ تشكله الثاني أثناء فترة عرابي، ثم تشكله الثالث أثناء الاحتلال الانكليزي الذي انتهى بظهور الضباط الأحرار وانقلاب 1952. وأثناء فترة الاضطراب (1952–1954)، تردد الجيش في قمع التظاهرات الكبرى التي اتسمت بتنوع شعبي، بينماً كانت الداخلية في المواجهة. حتى أنّ عدداً من قيادات الجيش قالت لعيد الناصر «إننا خرجنا باسم الشعب، وإذا كان الشعب لا يريدنا فعلينا العودة». وفي انتفاضة 1977 طلب الجيش من السادات سحب الداخلية والتراجع عن القرارات حتى يتسنى له السيطرة على الوضع في شوارع مع إيثار عدم المواجهة مع الجماهير.. حتى وصلنا

إلى لحظة 25 يناير. يتسم الرأيان القائلان بقدرة الجيوش النظامية، سواء على القمع أو على التردد في سلوك سبله، بقدر كبير من الاستاتيكية. فالمقاربتان تغفلان عوامل السياق والتأطير: أطرت الثورة المصرية نفسها منذ يومها الأول كثورة شعبية متعددة الأطياف، وقدمت خطاباً قوياً يحاول وضع الشعب والجيش كيد واحدة في معركة التحرر. كما لا يمكن أن نغفل عامل التناقض الكبير بين الجيش والنظام السياسي لمبارك آنذاك وذراعه المركزية المتمثلة

إن كانت لقتلى أم لمن أنْهك ضّرباً. إلا أنّه، مع اشتداد المعركة، قام الجيشُ بالإنسَحابِ وبتصدير الدَّاخلية في الواجهة. وبعد «محمد محمود»، بدا واضحا أن الجيش سيبدأ بالانخراط بكل عنف في الصراع الدائر بين الثورة والدولة بقيادته. وبالفعل، لم تمر أسابيع قليلة حتى اندلعت اشتباكات مجلس الوزراء، التي انخرطت بها قوات المظلات في قمع وحشي كانت أبرز مشاهده تعرية فتاة كانت ترتدى عباءة سوداء والقفز على جسدها العاري. ظلت الأمور في تصاعد مع استمرار حدة الصراع والمطالبة باسقاط «حكم العسكر»، وقام العسكر بالإنغال أكثر فأكثر في استخدام العنف ففض اعتصام العباسية بمنتهى القوة في ساعة الذروة التي تشهد قمة الحشد يوم الجمعة 2 أيار/ مايو 2012 حيّث اندلعت مواجهات عنيفة بين المحتجين والشرطة العسكرية بسبب محاولات الوصول لوزارة الدفاع. في «الداخلية» التي توغلت وتسيدت على المجتمع وحتى

علَّى الحِيش نفسه، حيث تعددت الإشبتياكات والمشاحنات

بينهما في سنوات ما قبل الثورة وامتدت حتى بعدها، وقام

أفراد من الجيش أكثر من مرة بالهجوم على عدة أقسام

من «الداخلية»، أبرزها واقعة «قسم 15 مايو» حين قام

طلبة بالكلية الحربية بمهاجمه مركز للشرطه يقع

جنوبي العاصمة المصرية في آذار/ مارس 2009، وأفادتُ

الأنباء وقتها أن الطلبة كانوا ينتقمون لسوء المعاملة

التي تعرض لها أحد زملائهم في المركز، بسبب تغول

الداخلية وانتهاكها للتراتبية المتعارف عليها. وكان

مشروع توريث جمال مبارك يسبب أرقأ كبيرا للجيش

وينذر بنهاية سيادته وهيمنته على الدولة لمصلحة رجال

الوريث ذاك، والداخلية بقيادة حبيب العدلى. كما أن

عنصرى المفاجأة المتمثلين في أحداث 25 يناير وما تبعها

من تنظيم سريع لبعض التجمعات الشبابية والحركات

الاحتجاجية، وسرعة انهيار «الداخلية» بعد ذلك بأيام،

قوّضت فرص الجيش في الاستعداد لمعركة المواجهات

المباشرة مع جماهير محتجة، بالأخص على مستوى

لخطاب وتاطير الحدث وتصنيفه في خانة العدو الدي

يجب قتله وإبادته. وهو أمر يأخذ قدراً كبيراً من الإعداد

والتدريب حتى يتسنى للمؤسسة ممارسة القدرة على

سنوات الثورة والحدود التي اتسعت

بمجرد انتهاء حقبة الـ «18 يوماً المجيدة» التي شهدت

تقارباً كبيراً بين الجماهير والجيش المصرى، بدأ المجلس

العسكري في إنتاج خطاب قوى يُؤطر الثورّة كفعل خطر

على هيبة الدولة ويسعى لتفكيكها. وبعدها بدأ يربط

القتل والشحن المعنوى لقواتها.

لقد غطى الجدل حول تقاعد ألف شخص

على تقاعد مليون شخص سيعملون أكثر

وسيقبضون أقل، وقد حُسم مصيرهم بصمت.

في باب إصلاح التقاعد، النقابات توافق، ومناضلو

الفايسبوك يقصفون الوزيرة المحظوظة، ولا

لا يفكر مناضلو الفايسبوك في التسجيل في

اللوائح الانتخابية المفتوحة حاليا للتأثير في

انتخابات أيلول/ سبتمبر 2016 عبر القنوات

الديمقراطية في مؤسسات الدولة. ويريدون

من البرلمانيين أن يصوتوا على إلغاء معاشاتهم

ومن يطالب؟ ليس الأحزاب بل الفايسبوكيون

النين يقاطعون الانتخابات. النشطاء

الافتراضيون يُضْعفون السياسة الواقعية.

السياسة تمارُس في الأحزاب التي تطرح برامج

وتتقدم للانتخابات. ولا يدرك المحتجون خطراً

عاشته الولايات المتحدة، حين أدى إلغاء التعويض

عن مهام البرلمانيين إلى استفراد الأغنياء

لقد تركز الجدل حول جملة وزيرة «الفرنكات»

التي ستحصل على تقاعد لعملها أربع سنوات،

ونسى مصير مليون موظف سيعملون أربعين

سنة وسيهرمون خلف المكاتب وقد يموتون فيها،

سيرتعش المعلمون وهم يمسكون الطباشير،

ستقف المعلمات طويلا رغم الروماتيزم .... لن

تفرغ الوظائف لتعيين الشبان العاطلين الذين

حصلوا على شهادات عليا. سيقضون شبابهم

محمد بنعزيز

كاتب وسينمائي من المفرب

في الظل وسيقضون شيخوختهم في الوظيفة.

المتفرغين بممارسة السياسة في البلد.

بأنفسهم؟ أن يضروا بمصالحهم الشخصية!

يحتجون على مصير الموظفين الفقراء.

الأخطر سيأتى حينما سيقوم الجيش بثاني أكبر مذبحة في تاريخ مصر الحديثة بعد مذبحة الماليك، بل ربما تكون «مذبحة رابعة» هي الأكبر في التاريخ الحديث حيث إنّ مذبحة الماليك جاءت في بدايات حكم محمد على، حين لم تكن الدولة ومؤسساتها قد استكملت بعد. على الأرض، كان بطل المذبحة الرئيسي في رابعة والنهضة هي قوات الداخلية بمساعدة الجيش.

اتسمت أغلب الوقائع السابقة إما بصغر حجم التظاهرات أو بطابعها الفصائلي. ولكنها وسنَّعت كثيرا قدرة الجيش على القمع والقتل، ولو أنها ظلت محصورة في تأطير محدود لعدو واحد في كل مرة وعلى نطاق محافظة أو اثنتين. فحتى الآن، لم تختبر قدرة الجيش في مواجهة مفتوحة متنوعة الاطياف وعلى نطاق جغرافي وآسع. وليس الغرض من هذه الاشارة تبرير ما حدث منّ مذابح، ولكن القصد أن تلك الوقائع افتقدت العامل الأهم في تقييم قدرة الجيش على القمع الواسيع، وهو مواجهة جمهور كبير متشكل من أطياف المجتمع المصري. مثل هذه المواجهة هي ما يمكنها أن تضع ايديولوجيته وتركيبته في اختبار حقيقي، حيث سيكون هو محور الصراع ومركزه، وليس كما في العهود والانتفاضات السابقة. لا شك بأن قدرة الجيش على القمع اتسعت بشدة، وذاقت قواته طعم الدم المصري كما لم يحدث في تاريخ المؤسسة من قبل. إلا أن قدرته على قتل الجمهور من دون أن تتحول المواجهة إلى صراع بين الجيش وفصيل سياسى بعينه أو مجموعة من المتشددين، يظل سؤالًا مفتوحاً على التاريخ. والإجابة عنه ستعتمد أيضاً على شكل التأطير الذي ستقوم به الموجة الثورية لصراعها مع الجيش، وعلى أفراد وضباط القُوات المسلَّحة، وعلى طبيعة الخطاب الثوري وتصويره للصراع وللعدو.

### على الرجال

باحث في علم الاجتماع السياسي متخصص في الدراسات الأمنية، من مصر

## هدية للموظفين: ستهرمون في قرف الوظيفة

# تمديد سن التقاعد: الفعل كارثي ورد الفعل مسرحي

تحدث رئيس الوزراء المغربي عن إصلاح التقاعد، وأصغى له بهدوء في البرلمان، وهذا نادرا ما يحدث. كان الصمت تعبيرا عن استسلام لأزمة، وعن ضرورة الحل.. خاصة أن تقاعد البرلمانيين والوزراء لن يتضرر، وهو يبدأ فور ترك المنصب حتى لو كان أحدهم في سن الخامسة والعشرين. لنسف كل اعتراض، كشف عبد الإله بنكيران أمام البرلمان أنه تشاور مع النقابات لعدة سنوات وأنها وافقت على الإصلاح وأضافت «ولكن». في هذه الأيام صار السياسيون مصابين بلعنة «لكن». بعضهم يستخدمها أربع مرات في السطر، فيستحيل تحديد ماذا قال.

لدعم هذا التوجه، وقف البرلماني الفقيه المقرئ، أبو زيد الإدريسي، وأكد أن الإصلاح هو تجرع دواء مر لكن المريض مجبر على ذلك. استخدم الفقيه التشبيه لقيمته في توضيح الفكرة برسم صورة لها، بل وقدم إحصائيات. في المغرب، حتى الفقهاء يتحدثون بالأرقام ويتجنبون الإفتاء.

ما معنى الإصلاح؟ يعني تمديد سن العمل ومزيد من الاقتطاعات منَّ الأَّجور لكى لا تفلس صناديق التقاعد. لأنه في 1980 كان اثنًا عشر موظفا يعملون مقابل موظف واحد متقاعد. الآن ثلاثة يعملون مقابل كل واحد متقاعد. قلّت المداخيل وزادت المصاريف. وأين ذهب الفارق الذي تجمع في سنوات الرخاء؟

«أكله الذيب» قبل عهد محمد السادس. في عام 2000، كان لدى وزارة المالية 3190 ملفا خاصا بالاختلاسات لكن نتائج التفتيش ما زالت غير معروفة.

### الفعل كارثي

كيف تحقق إصلاح التقاعد بصفر دولار؟ بسبطة: زيادة مدة العمل وتقليص الأجرة، أي اقتطاع جديد لملء صناديق التقاعد. الإسلاميون يمررون الإصلاحات/التقشفات

التي عجزت الحكومات السابقة عن فرضها. لعل تلك هي ميزتهم الكبري. كان ذلك تحدياً لمثلي الأحزابُ التي هرّبت المشكل لعشر سنوات، والآنّ وصل المغرب للجدار. رفض بنكيران تهريبه

للحكومة القادمة التى قد يترأسها حسب استطلاع إلكتروني. قُضى الأمر. كيفٌ وصلنا إلى هنا؟

تم تنفيذ المغادرة الطوعية سنة 2005 أي تسريع تقاعد الموظفين. غادر 46500 موظف الوظيفة العمومية سنة 2005 بين تقاعد ومغادرة طوعية. كان الهدف تقليل الموظفين الصغار، لكن هؤلاء كانوا بلا موارد ليغامروا بترك الوظيفة. وحصل عكس ما توقعه المشروع: غادر الأطباء والقضاء والأساتذة الجامعيون والأطر العليا الوظيفة، فصارت الإدارات معاقة. حتى أن وزير التعليم العالي الحالي يريد تمديد سن تقاعد أساتذة الجامعات حتى السبعين. يبدو لكم هذا عبثا؟ قريبا ستألفونه!

كان التعويض عن المغادرة الطوعية معفيا من الضريبة، استفادت منه نخبة سياسية ونقابية كبيرة. حصل برلمانيون ووزراء على تعويض عن مغادرة وظائفهم الأصلية واحتفظوا بعائدات مناصبهم السياسية..

كان هناك فارق بين البيروقراطي الكبير والبير وقراطي الصغير، أي الموظف المسحوق الذي لا يزيد دخله عن ثلاثمئة دولار. لم يغادر طوعا لأنه لم يدخر مالا لَبداً. والآن سيمددون سنوات عمله. في كل محطَّة، في كل قرار تتخذه الدولة، يظهر الفارق بين الناس الألبة وعامة الشعب. يظهر خلل موازين القوى مهما كان القانون عادلا على الورق. وعلى الرغم من الكارثة، اعتبر الوزير الأول الأسبق، إدريس جطو، مشروع «المغادرة الطوعية» ناجحا. وحين طولب بتكراره طهر عليه الخوف. ولتأكيد أن المشروع كان كارثة، تقرر نقيضه في 2015. وقد كتب الشاعر سعد سرحان عن «الغادرة الطوعية والبقاء القسري» واستغرب أن

يدبر البقاء القسرى.

رد الفعل له مستويان، نقابى وفايسبوكى. نقابياً، هاجم زعيم النقابة التابعة لحزب العدالة والتنمية رئيس الحكومة لأنه لم يستشر النقابات، وانه تلقى من رئيس الحكومة الذي ينتمى للحزب نفسه عروضا لإصلاح أنظمة " التقاعد في نيسان / أبريل الماضي.. من فهم شيئا من المسرحية ليرفع أصبعه.

من جهة أخرى، خرجت عريضة حقوقية تقول «لا للإجهاز على الموظفين، لا للقرارات الأحادية والمصيرية التي تخص الموظفين، لا للمعاشات الفَّتات، نعم لتقَّاعد مريح لموظفين أفنوا أعمارهم خدمة لهذا الوطن، نعم لحاسبة مختلسي صناديق التقاعد ومعاقبتهم على خيانتهم

مرت هذه المسرحية بَـرداً وسلاماً، خاصة وأن وزيرة سطحية رفضت الربط بين تقاعد الموظفين وتقاعدها من المنصب السياسي. فهي ستحصل على تقاعد كبير في سن الخامسة والأربعين، ومدى الحياة. بل واعتبرت المبلغ صغيرا مثل «فرنكين»، وهو تعبير شائع لتحقير

وقد أشعل هذا الربط مواقع التواصل الاجتماعي البلهاء حول تقاعد الوزراء والبرلمانيين. ظهرت صفحات فايسبوكية تقود الحملة التي تناست مصير مليون موظف «أكلهم الذيب». لدى كل صفحة ثمانون ألف مهتم وأربعة وأربعون ألف مناضل افتراضى جاهز للمشاركة في الاحتجاج. لو نزل هذا الرقم في الانتخابات لحقق كل مطالبه. لكن هذه الأرقام مضلِّلة.

يبدأ تقاعد البرلمانيين مما يعادل 500 دولار ويتزايد حسب الولايات حتى 1500 دولار، أما تقاعد الوزراء فهو 3900 دولار حتى لو عمل

سنة واحدة، ويبدأ التقاعد فور ترك المنصب. لذا المهندس الفعلي للمغادرة الطوعية هو نفسه الذي يحصل متقاعدو البرلمان والحكومة على تقاعد

### رد الفعل مسرحي

## يهودا والسامرة!

380 ألف مستوطن في الضفة الغربية، و200 ألف في القدس «الشرقية»! كانوا 20 ألفاً في 1977، بعد أكثر من عشر سنوات على هزيمة 1967 واحتلال القدس والضفة وغزة، أي كل فلسطين التاريخية. وكانوا 70 الفاً في 1987. تنامي إذاً العدد بهذه الصورة في ظل اتفاقيات أوسلو «للسلام»! ما الاستنتاج السياسي انطلاقاً من هذه الْعطيات؟ ليس فحسب أن أوسلو كان خديعة كبرى، بل إن الأوضاع العالمية والعربية تردت في العقود الثلاثة الأخيرة إلى حد سمح لإسرائيل بمثل هذه العربدة. واليوم، تخطط هذه لبناء 55 ألف منزل داخل المستوطنات، وبالأخص منها تلك المحيطة بالقدس، بحيث يُنْجِز عزل المدينة بالكامل عن الضفة الغربية، وقطع هذه الأخيرة إلى جزءين، شمالي وجنوبي، بلا أي تواصل بينهما. وبالطبع، فيوجد قطع وتقطيع داخل كل جزء منهما، فيما يتعزز وضع قطاع غزة كسجن كبير معزول تماماً، ليس عن سائر فلسطين فحسب،

«يهودا والسامرة» صارت تعبيراً شائعاً، يستخدمه نتنياهو ووزراؤه بلا مرج، ويطابق في نظرهم الحقيقة التي يؤمنون بها. والمسجد الأقصى هو أقدس مقدسات.. اليهود! والمضطهد والمعتدى هنا هم «المسلمون» الذين يريدون حرمان اليهود من مكان عبادتهم المفضّل (بحسب تسيبني هوتوفیلی، نائبة وزیر الخارجیة، الذی هو نتنیاهو)، وهكذا..

ورطة كبيرة لإسرائيل بداية، التي يقول مسؤولوها إنَّهم لا يريدون حل الدولتين ولا حل الدولة ثنائية القومية، ولكنهم يريدون مع ذلك الاحتفاظ بـ «أرض أجدادهم وملوكهم» (بحسب رئيس الوزراء نفسه). التفصيل الصغير أن على تلك الأرض شعب آخر. وهكذا يصبح فلسطينيو الضفة والقدس «قوة احتلال»، ويصبح فلسطينيو 1948، الذين لم تتمكن العصابات الصهيونية من طردهم وقتها.. «طابوراً خامساً». هل ذلك هو قلب للحقائق على رأسها؟ لا يهم. السؤال هو ماذا ستفعلون إذاً؟ أن لا يكون لدى الإسرائيليين جواب على ذلك يعبِّر أصلًا عن المأزق التأسيسي لإسرائيل، التي تأمل بتغيير العالم كله ليلائمها (وهو التعريف العلمي للجنون). لكن ألاّ يكون لدى الحركة الوطنية الفلسطينية (ولدى العالم برسمييه ومتمر ديه على السواء) جوابٌ هو العطب. وهو يقيناً وبالتجربة لن يستمر. فبانتظار «الجواب»، وبالعمل لأجله.. كل عام وأنتم بخير!

نهلة الشهال



طالباً مصريّاً قتلوا خلال عام 2015، واعتقل تعسفياً 1010 طلاب، بينما تمّ فصل 286 طالبا حامعياً، وأحيل 140 طالباً إلى محاكمات عسكرية، وتعرض 400 للإخفاء القسرى.

تدخل شعيرة «سبيّبه» ضمن الشعائر الاحتفالية التي تعبر عن القضايا المتعلقة بحياة سكان واحة «جانت» في قلب الصحراء الكبري. فعلى مدار عشرة أيام، يتغيّر وجه الواحة بأقنعة الرجال الراقصين وزينة النساء وروائح ألبستهن وعطور مساحيق الزعفران التي تنبعث منهن فتملأ فضاء وادى «تغزّيت» مرحا ولدّة. تتحوّل الأماكن المحتفلة لمسارح مهيكلة بكلّ أدواتها، من شخوص تاريخية وأحداث درامية وعلاقات اجتماعية ذات خصوصيّات

محبوكة حبكاً درامياً متشعب الأبعاد والأهداف. يستعد قصرا «زلواز» و «الميهان» (والقصور تمثل حياء / جماعات من الواحة) استعدادات مكثّفة، فيها أبعاد شعرية وحركية وموسيقيّة تغذيها سيرورة انتقال تراث «سبيّبه» الشعري والموسيقى والكوريغرافي من جيل لجيل، ليس ليبقى ثابتاً داخل توابيتَ مغلقة، مبجِّلة للماضي وحسب، ولكن لزيادة حماس الشّباب والمسنّين لفكرة التّنافس البنَّاء الذي يعيد تشكيل الزَّمان والمكان والهويَّة.

### مراحل سبيبه

مرحلة تمولاوين (وتعنى المدح والثناء) التي تكون بمحاذاة كل قصر من القصرين، في أماكن تغيّرت . عبر التاريخ، جراء إعادة تأسيس «القصور» وبعث الحياة في المنطقة بعد فيضانات أفنت الواحة ثلاث مرات. وتكون طقوس ليلية تحضّر لليوم الفصل، يوم العاشر من سبيَّبه (العاشر من محرّم، وسبيَّبه هو اسم الشهر الذي يوافق محرم في رزنامة سكان جانت)... وهي بدورها تبدأ في الانتظام والحدة، في الإيقاع والرقصّ والأداء الصوتي، (تسخين، توكاس) خلال ثمانية أيام، من خلال تامولي الصغرى وتامولي الكبرى، في السابع والثامن من محرم.

تتأسس المجموعات وتنتظم ويراقب أداؤها من خلال توجيهات الشيوخ والشيخات. فالضاربات على الطبول توكل لهن مهمة افتتاح الشعيرة بواسطة سيدة طبل «إمنيني» الذي يضرب بطريقة مغايرة لباقي الطبول الأخرى، وعلى هذه الأخيرة أن تحيط به «كما يحيط الهلال بالنجمة».. كذلك براقب الشيوخ أداء المجموعة الصوتية التي توكل لها مهمة الغناء المناسب في الوقت المناسب، أي لكلّ مرحلة موسيقاها وشعرها، ويتم التوجّيه من قلب المجموعة بواسطة سيدات الأداء، «تمغارين ن أقاي»، اللواتي يحفظن الأشعار ويوجهن الجميع إلى ما يجب أن يردّد في الوقت المحدّد. وكلّ هؤلّاء توكل لهن مهمة تتبع حركات الراقصين من

وتاى». الكل يسعى جاهدا لتحقيق مستويات أداءً عالية تربك الخصم، وتجعل أحد الفريقين يفوز يوم المواجهة الصّعبة، يوم العاشر، يوم «أقيبل». طقس المناغتة: «تنَّفار» وهي مرحلة افتتاح الشعيرة واختتامها: «تَنْفَارْ» من الْجذر نَفْرَ بمعنى انصباب الواحد في الآخر، ويُطلق على النَّهر الذي يصبُّ في نهر آخرٌ. تعتبر

الشياب المقنَّع بمختلف اللثامات.. وتتبع عروضهم

للعباءات في طقس «آغلاي ن تكمسين»، وطريقة ضربهم للسيوف وتقاطعها في طقس «أغلاي ن

تنفار مرحلة الهجوم والغلبة، والتسابق. تدخل «شيت ڤنڤاتن» يتبعهن الراقصون، بعدما تسبقهم «شيت آڤاي» لفضاء «أبتول»، ومن سبق بالدخول سيكون النصر حليفه في هذه المنافسة. ف «تنفار» يعتبر طقساً للمباغتة وقهر الخصم بالسرعة الفائقة في ولوج الفضاء المقدس، الرمزي، فضاء التشكّل الّدرامي للأحداث البعيدة والقريبة.

### طقس عرض العباءات

أصبح هذا الطقس من طقوس العرض الهامة، التي تبيّن ذوق ورفاهية كلّ قصر، ويشترط في «تكُمْسينْ»، أو العباءات المشاركة في العرض أنّ تكُون ﴿تَايِلْاَلْتْ» أو «تَانْ كُورَا» أو ﴿تَانْ آلَشُّو» وكلّها مستوردة أو مجلوبة من «بلاد السّودان»، أي النيجر أو نيجيريا. تتلاحق العباءات في انسجام 

وإذ برز فقط التّنافس الرجالي بالعباءات، فلا يمكن إهمال استعدادات النّساء في تلك اللّحظات نفسها لارتــداء أغطية «آلشو»، إذ يمكن رؤيتهن وهن يساعدن بعضهن البعض وقت الراحة استعدادا لرحلة عرض اللباس مناصفة مع الرجال.

### طقس دوران السنة

تعنى كلمة «أغَـلاَيْ» الدوران، و»أُوتَـايْ» معناها السنةُ بلغة «كيلْ جَانَتْ»، وما تقاطع السّيوُف سـوى رمز للاتجاهات الأربعة: شمال/جنوب وشرق/غرب، ما يحيط بالمركز أي محيط واحة جانت وهي من الأسرار الكوسموكونيّة للمجتمع القصوري. طقس «أغلاي ن وتاى» هو تقاطع لفصول السنة

واكتمالها وانقضائها وتجدّدها في آن وأحد، أي بالمفهوم الزمني يتقاطع الزمان والمكان، رغبة في تجدّد السنة، والتي لا تكون إلا بتجدّد المحتفلينّ وبقائهم على قيد الحياة.



### شعيرة عبور

من الإحتفال

تتَّفق جلِّ الدّراسات التي تناولت هذه الظاهرة بأنّها شعائر عبور وانتقال، لاحتوائها على العديد من طقوس الانتقال الحزئيَّة المكوَّنة لعموم الشَّعيرة، والتى تؤدي وظائف اجتماعية وثقافية ورمزية بطريّقة أو بأخرى. وهي تقع زمنيا في عاشبوراء التي تمثل عموماً السنة الجديدة في الإسلام، وبداية التقويم الهجري، إذ تذكّر بانتصار الرسول على قبيلته قريش الوّثنيّة، واستقباله من طرف المُجتمع المديني بالطبول والأغاني: «طلع البدر علينا». ففرحة الانتصار تلك أصبحت تعيشها المجتمعات المغاربيّة عموما، فيما بعد، كحفل بهيج لدى السّنّة، دون أيّ وجه لمقارنتها بالنّدب في طقوس الحداد على مقتل الحسين بن عل وإن أبدى البعض في «جانت» تحفظاً من المشاركة في «الفرح»، إذ يُفترض حسب اعتقادات الناس للسبيَّية أنّها تعبير صارخ على مقتل الحسين (أثناء طقس تنفار) حيث يتمّ تلطيخ وجوه النّساء

### الأوًا، للمحتمع ونمط تأسيسه منذ البداية: بروز طقس البلوغ، طقوس المظهر والجسد للجنسين، العلاقات بين مختلف فئات السنّ ودلالات الاحترام، أهميّة النساء المسنّات في المجتمع ورمزيّة مكانتهنّ،

لكن السبيَّبه تشكل «تْمَنْجُوطْ»، أي أن طقس بلوغ الذكور والاناث هو لبّها، وتعطى دّلالات عميقة تفضى لتاريخ الواحة المحلى وما حدَّث من أحداث جسامٌ فيها. فالظَّاهرة العاشـوريَّة في البلاد المغاربيَّة اندثر حلَّها ولم تعد تؤدي الوظائف المحولة لها، وإنْ ربطها العديدون بطقوس زراعية ما قبل إسلامية. ومن خلال ما قمنا به على مدار ثماني عشرة سنة، فلا بد من مواصلة الأبحاث الحادة والمتعددة الاختصاصات لإحداث تراكمات معرفية توضح لنا لاحقا المزيد من الرموز والإشكالات الخاصة بهذه الشُّعيرة المركَّبة والمولَّدة للمعاني وللغموض في آن... «سبيبًه» شعيرة تنصهر فيها الطقوس التي تمثّل خصوصيّة المجتمع الجانتي حسب ملاحظته لمختلف المحاذير، من الفوضى والإخلال بالنظام

## الهروب من العنف إلى العنف

«نْخلّى الأمور لله، بس.. لو رجعنا السودان، ما بيخلّونا. بيقتلونا». تختم الَّرأة السودانية اللاجئة في الأردن روايتها عن قصة فرارها وأطفالها من باحة المطار، حين حاولت السلطات الأردنية ترحيلهم قسراً يوم 16 كانون الأوّل/ ديسمبر الحالي. تذرّعت بإدخال أطفالها الحمام من أجل الابتعاد عن عناصر الأمن والفرار عبر فتحة في الأسلاك الشائكة، ثمّ المشى ساعتين في أرض خالية حتى الوصولُ إلى الشارع، والعودة من هناك إلى عمَّانُ. شهادتها واحدة من شهادات عائلات سودانية وجدت نفسها فجأة في باحة مطار الملكة علياء، بعد أن أحضروا بالحيلة والخديعة وتحتّ الإجبار إلى المطار لترحيلهم إلى السودان.

أحصت مفوضية اللاجئين بالأمم المتحدة أكثر من 3500 سوداني في الأردن، من لاجئين وطالبي لجوء. مأساة اللجوء واحدة في كل مكان على الكوكب. قصص الفرار من العنف تضاهيها قصص الفرار إلى عنف آخر! من عنف الحرب إلى عنف السلطات، وعنف الظروف الحياتية الصعبة، وعنف العنصرية، وحتى عنف الطبيعة والبحر.. مئات اللاجئين السودانيين كانوا قد بدأوا اعتصاماً مفتوحاً أمام المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين منتصف تشرين الثاني / نوفمبر الماضي للمطالبة بالحماية وإعادة توطينهم في دول أخرى، ليتمّ تفريقهم بالضرب بعد شهر من الاعتصام، في صباح 16 كانون الأول/ ديسمبر. أجبروا على ركوب حافلات ونُقلوا إلى منطقة الشحن الجوي بالمطار بعدما اعتقدوا أنه سيتم نقلهم إلى مسكن آخر. هكذا قررت السلطات أن لا داعي لاحترام حق اللاجئين في تقرير وجهتهم أو المطالبة بالأمان. وليست هذه المرة الأولى التي يتعرض فيها الأمن الأردني للاجئين بالضرب.

هذه المرة كبّلت أيدي اللاجئين بشريط بلاستيكي أبيض، مثل ذلك الذي يُستخدم في إحكام ربط الطرود البريدية. السلطات الأردنية جرّدت اللاجئ السوداني من صفاته الإنسانية، فتمّ تشييئه والتعامل معه ڪ «غَرض» غير مرغوب فيه. تمّ «توضيب» اللاجئين في باصات، وتجميعهم في باحة المطار أو في مستودعات من أجل «شحنهم» بعيداً، دون أدنى التفات لإنسانية واحدهم ووعيه وحقّه بمعرفة ما يجري على الأقل!

اتهم المتحدث باسم اللاجئين مفوضية اللاجئين في الأمم المتحدة التخلّى عن قضيّتهم وممارسة تمييز ضدهم من قبل بعض الموظفين، فيما نفت المفوضية التهم وأكدت المساواة في تقديم الدعم بين جميع الجنسيات. الأمم المتحدة حذرت الأردن من أن ترحيل اللاجئين يخرق مبدأ عدم الإعادة القسرية في القانون الدولي، الذي يحظّر على الحكومات إعادة الأشخاص إلّى أماكن قد يتعرضون فيها للاضطهاد أو التعذيب أو العقوبات أو المعاملة غير الإنسانية أو المهينة. وهذا ما كرره تقرير هيومن رايتس ووتش. تجاهلت السلطات الأردنية المناشدات الإنسانية ورحلت نحو 800 لاجئ، مبررة ذلك بأن هناك تنسيقاً مع السلطات السودانية، وأنَّ هؤلاء «لا ينطبق عليهم تعريف اللجوء، لأنهم جاؤوا طلبا للعلاج في البلاد».

من يلقى نظرة على الفيديو المصور لحال اللاجئين النيام في العراء أو في خيم نايلون بدائية يفهم حجم الإهمال: طعام يوزع في دلاء بلَّاستيكية، أقدام عارية، أطفال وكبار يراكمون الملل. علَّى الخيم كتبوا عبارات مثل «أين حقوق الطفل؟»، «حياتنا في خطر»، «لا للتمييز «...

هؤلاء اللاجئون قدم جلهم من دارفور، والقصص الآتية من دارفور تتحدث عن إحراق قرى بأكملها ونهبها، وعن اغتصاب النساء وعن قتل وتدمير منهجي وعن أطفال ضحايا في كل هذا. يمكن إذاً فهم الرعب في عيني طيبة التي فرّت بأطفالها من المطار. فعند تخيّل فكرة العودة إلى السودان، تركّت الأمور

صباح جلول

وغزارة منظومتها اللّحننية.

### صحافة العراق: التمنع في الداخل والتسهيل للخارج هكذا سرّبت وثيقة تبيّن تشكيل غُرفة تسهّل كان هذا هو الجانب الواضح من التضييق على جنسية الأحوال المدنية. وربما يكون نظام صدّام

ليس العراق مكاناً آمناً.. وهذا بات من مسلمات

حسين قد سحبها منهم. كانت العلاقة والحال هذه تربطها مصلحة تصـّب في غالب الأحيان لصالح السياسي، إذ ان الصحافة لم تكن بمعزل عن الوضع المرتبك الذي تعيشه البلاد، ولم تكن أيضاً بمعزل عن الخطاب الصاعد الذي يروِّج للديموقراطية التي ستحلِّ في البلاد، ولا بمعزل عن «كفاح» السياسيين في الخارج الذي أهلهم للاضطلاع بإسقاط النظام الديكتاتوري.

وبمعنى أدق، لم تكن نيّات السياسيين، لدى الكثير من العاملين في المؤسسات الإعلامية، قد تكشّفت... ولم يكن الفسّاد قد بلغ هذا المبلغ بعد، وهو ما أسكت الكثير من الصحافيين وجعلهم أقلّ حدّة في الأسئلة والمقابلات التي أجروها مع السياسيين. إلاأن «رغبة» السياسي بالصحافي ونزوعه للحديث

عن «منجزاته» أخذت بالفتور على مدى السنوات التى تلت الاحتلال، بعد أن برز عدد من الصحافيين كأنداد للسياسيين يحاسبونهم ويناقشونهم في الفشل الأمنى والسياسي والاقتصادي. هكذا بدأ «التمنّع» من قبل السياسيين، وزاد التضييق ليشمل إغلاق مكاتب إعلامية وتسريح العاملين فيها، أو ملاحقة صحافيين، كما حصل مع الكاتب سرمد الطائى الذي أقام رئيس البوزراء السابق نوري المالكيُّ قضيَّة ضدّه في العام 2014 وأصدر القضاءُ فوراً مَّذكّرةً إلقاء قبض بحقّه، الأمر الذي دفعه إلى الفرار من بغداد.

وخلال 11 عاماً، أحصى مرصد الحريّات الصحافيّة في العراق نحو 2800 حالة اعتداء ضدّ صحافيين، تضَّمنت مقتل 291 منهم، فيما أغلبية تلك الاعتداءات الساحقة كانت حالات اعتداء بالضرب وتجريد من المعدّات الصحافيّة واعتقال لساعات في المقار العسكريّة.

الإعلام، أما الجانب المخفى فكان يتمثِّل بقطع الإعلانات عن الصحف التي يعلو صوتها في فضح ملفات الفساد، أو إجبار ممولين على إبعاد كتّاب بعينهم عن بعض الصحف المحليّة، أو إلحاق ضرر ببعض المؤسسات، ما يؤدي إلى ترهيبها، ومن ثم التزامها الخطّ الذي تفرضه الأحزاب، وهو الصمت تجاه «الساسة الكبار»، والإكتفاء بانتقاد الصغار

الصحافيين في عهد المالكي. وبعد تسلّم حيدر العبادي لمنصب رئيس مجلس الوزراء، بدا أن هذا من القرارات التي كان من شأنها اتاحة العمل للإعلام من دون أن يوآجه تضييقاً. كان على رأس تلك على ورق ولم تجد طريقاً للتنفيذ على الأرض، إذ بقى الحال على ما هو عليه، وعادت المراصد المعنية بحريّة التعبير لتسجّل حالات اعتداء وترهيب، وهي تنتظر انقضاء العام للإفراج عن إحصائياتها بشأنة.

«الصحافة العراقية ساعدت على إرساء أسس الديموقراطية والتنوع السياسي» قال العبادي، الذي يقوم بسياسات «تقشفيّة» ويصدرها إلى العراقيين على أنها «إصلاحية». إلا أن هذا التصريح الذي أطلقه في عيد الصحافة العراقيّة يبدو مشابهاً لتصريحات أخرى تتعلّق بتحرير المدن من «داعش»، أو بضمان الرفاه للعراقيين. إذ يبدو أن الرجل الذي يتخبّط بالداخل، يسعى ليكون «لامعاً» في الخارج..

إجراء «مقابلات» مع العبادي بشخصه، إلا أن المقابلات محصورة بالصحافة الأجنبيّة «الرصينة» كما وصفتها الوثيقة، وهدف المقابلات «الترويج للإصلاحات» التي يقوم بها. إذاً لا يبدو غريباً أن تنحصر أغلب المقابلات التى يجريها المسؤولون العراقيون اليوم بالإعلام

وكانت قد جرت أغلب هذه الأحداث تجاه الواقع لم يعجبه (هكذا روّج)، ما تُرجم إلى سلسلة القرارات إلغاء كتاب تمنحه قيادة عمليات بغداد للصحافيين يسمح لهم بالعمل في الشارع من دون أن تتم مساءلتهم، والاكتفاء بالهويّة التعريفية للعاملين في الإعلام ليتمّ تسهيل مهمّتهم. إلا أن هذه الأوامر بدت أيضاً مشابهة لقرارات كثيرة صدرت

العظيم يتحقّق بواسطة طقوس الانتقال تلك، والأهمّ من كلّ ذلك العلاقات التي تحكم «القصور» فيما بينها، والسيما المحتفلين من القصرين، أي

رفقة مختلف الطبول المدويّة بالواحة، بناء الهويّة

الفردية وعلاقاتها بالهويّة الجماعيّة.. وهذا الشّأن

«زلواز» و«الميهان» أو الميزان. فكما يَبْلغ الذكور بعلامة وضع اللثام والشّاشيّة /الطاقيّة، التي يُطلق عليها «تْكُومْبُوتْ»، تَبْلغ الْإِناتْ بَعلامة تَّصَفيفَ الشَّعر والتي تتجسّد في تُسريحة «أُسكُرُفْ» التي تتزيّن بها البالغات ممن يُذْكرن في الأشعار.

لا بمكنناً فهم الشعيرة فهما شاملا إذا لم نركز الدراسات على مكوناتها الأساسية: الشعر الذي له نصيب الأسد. وكذلك فلا بدّ من دراسة الحركية باعتبارها أحداثا كوريغرافية بدلالات عميقة، فرقص «سبيبه» ليس رقصا يوميا مبتذلا يرقصه الرجال، بل هو رقص طقوسي يطلق عليه «أُرَوَاضْ». وكذلك الحال للمكوّنات الموسيقيّة المتشعبّة الألحان، التي تعطينا صورة غير نمطيّة عن الموسيقي التقليدية عامة والطارقية بخاصة، باعتبارها تخرج عن رتابة القول بقلة الألحان مقابل كم هائل من الأشعار،

الأَجنبي، وإهمال غالبيّة الصحافة المحليّة. بيدو

أن الجميع يتلافى كل ما هو محلّي لأنه يعرّي

ويجلب الإحراج، لاسيما بعد أن صارت الصحافة

الحزبيّة التي يموّلها هؤلاء مكشوفة ويسخر منها

العراقيون بعد أن اختصت بالمديح واكتفت بترديد

قصص «المؤامرات» بعد كل فشل أمنى أو اقتصادي

الآخر مغرى للسياسي العراقي.. الآخر، الصحافي

القادم بمواَّعيد محدّدة وببدلات أنيقة، يبوح له

السياسي بكلِّ شيء، بالأزمة المالية وبصعوبة

الحرب، وبالطائفيّة المترسخّة في المجتمع. سيقول

للآخر الصدق والكذب، وسيظهر كبطل، هذا لأن

«الآخر» سيكتب بلغة غير العربيّة، وهي التي لا

تعرفها الغالبيّة العظمى من العراقيين البسطاء،

بسبّب سوء التعليم الذي تلقُّوه. أما الصحافي

المحلّى العراقي فسيتلقى تهديداً بالقتل على بريدة

الالكتروني بشكل مستمر، أو سيواجُه بالتجاهل

بعد كل طلب إجراء مقابلة، ولن تخصّص له قوّات

أمنية تحميه أثناء تجواله على أطلال المدن العراقية.

رغبة السياسي بالخارج اليوم لم تعد تخصّ

الشؤون السياسية المستقوية بالآخر وحدها، وإنما

عمر الجفال

كاتب صحافي من العراق

تتسع للإعلام.. إنه بلد العجائب المفزعة.

مریم بو زید

باحثة أنثروبولوجية من الجزائر من سلسلة «أنثروبولوجيات» التي تصدر عن مركز «فاعلون»

الحياة فيه. ولكن أن تكون صحافياً في العراق فذاك يضيف انعدام أمان آخر إلى حياتك، فالعراق أحد البلدان الأكثر خطورة في العمل الصحافي، فضلًا عن كونه أحد أكثر البيئات الآمنة للإفلات من العقاب، خاصّة في حالات القتل والضرب والإهانة التي تجري ضد الصحافيين من قبل القوّات الأمنية الحكومية و من الفصائل المسلّحة التي تجول في طول البلاد

للتراث العالى اللامادي.

إلى جانب ذلك، تُحكم التفاصيل الصغيرة التي عيشها الصحافي العراقي في حياته اليومية، القبضة على قدرته القيام بمهمته، وهو الذي باتت حكومته تنظر إليه كدخيل وكنقيض لحياتها السياسية المتسمة بالفساد. إذ في الوقت الذي تقدم فيه الحكومة العراقية التسهيلات لأولئك الصحافيين القادمين من خارج الحدود على متن شركات الخطوط الجويّة الفاخرة، للحصول على مقابلات وضمانات لعودتهم سالمين إلى بلادهم، يتعرّض الصحافي العامل في المؤسسات المحليّة إلى التجاهل والتضييق، والتحقير في الكثير من الأحيان. ولم تكن العلاقة بين الصحافي والسياسي العراقي دائماً على طرفي نقيض. يذكر الصحافيون الُعراقيونُ الأعوام التي تلت احتلال بغداد في نيسان / أبريل عام 2003 التي تميزت بالتعاون والترحيب، فكان يسهل على الصّحافي الحصول على مُقابِلة من قبل أُكثر السؤولين «انشَغالًا»، وكان الاحترام في أوجه، لاسيما أن الأسئلة التي كانت توجّه للسياسيين لم تكن استفزازية، ولا تغوص في «المحرّمات» التي وضعها السياسي على قائمته في وقت لاحق. وقد يكون مرد ذلك عوز الساسة العراقيين الجدد آنذاك إلى من يقدمهم إلى أهل العراق وهم الذين قضّوا معظم حياتهم خارجه ولا تربطهم بالعراقيين سوى 31 كانون الأول 2015 ـ العدد 13258 Thursday December 31, 2015

4000 مريض في غزة بحاجة إلى الانتقال إلى خارج القطاع لتلقي العلاج، حيث إنّ هناك نقصاً نسبته 30 في المئة في الأدوية اللازمة لعلاج أمراض القلب والدم والرئتين والسرطانات، وتشترط إسرائيل أن يرافق المريض عند المرور عبر معبر إيريز رجل لا يقل عمره عن 55 عاماً أو امرأة لا يقل عمرها عن 50 عاماً.

## في طريق النضال للتحرر الوطني

# رأس المال «الوطني» الفلسطيني عند مفترق

يدور جدل في السنوات الأخيرة بيني وزملاء في الاقتصاد السياسي والتاريخ الفلسطيني حول العلاقة بين اتجاهات التكوين الطبقى الفلسطيني (خاصة في الأراضي المحتلة في العام 1967) وإمكانيات مواصلة عملية التحرر الوطني.

وفي الفترة التي بدأتُ في دراسة هذه المعضلة، كانت تجربة «بناء لدولَّة» الفلسطيُّنية، واعتَّماد السياسات الاقتصادية التحريرية في قمتها، كما اندلعت في العام 2012، ولأول مرة، احتجاجات شعبية منددةً بتلك السياسات وبالاتفاقيات الاقتصادية مع إسرائيل، في ظاهرة مصغرة لربيع فلسطيني. وهي امتدت من الحركة الشبابية وانتهت بتراجع لسلطة الفلسطينية عن يعض إجراءاتها الضربيية والتقشفية، ثم باستقالة مهندسها الأول سلام فياض من رئاسة الوزراء. التوقعات كانت صحيحة في تلك الفترة بالنسبة لانسداد الطريق أمام صنّاع القرار الاقتصادي لتُحقيق المزيد من التحرير التجاري والاقتصادي. لكن، وعلى ضوء الفشل في تجربة فرض وجود الدولة الفلسطينية من خلال التحسين في الأداء الاقتصادي والحكم الرشيد ونشر ثقافة ليبرالية، فلعل الأمل لم يكن ربما بمحله بخصوص التناقض الحتمى بين مصالح امتداد رأس المال والتكوين الطبقى المناسب له من جهة، ومن جهة ثانية لضرورة الشعبية بمواصلة وتجديد نضال التحرر الوطنى الذي أجّلته تفاقات أوسلو ونهج العملية السلمية الأبدية.

أي أنه رغم التفاؤل بأن يعيد رأس المال الفلسطيني حساباته بالنسبة للربح والخسارة الناتجان عن تماديه بالسلام الاقتصادي الذي يهيمن على العلاقات مع إسرائيل، وعلى عقلية نظام الحكم والنَّحْب السَّياسية والاجتماعية ـ لأن ذلك لا يمكن أن يصبح بديلًا مقبولًا عن التحرير ـ فإن سجل السنوات الماضية لا يدل على مثل هذا الاستدراك. لم تظهر حتى لآن في تشكيلة رأس المال الفلسطيني (الخاص والعام، الصغير والكبير، المحلى والوافد) أو في الطبقة الوسيطي المتحالفة معه، أية شريحة قائدة مستعدة لوضع ثقلها في معركة التحرر الوطني إلى جانب القوى المقاومة للاحتلال، من طلاب وشباب وعاطلين عن العمل وأبناء قرى ومخيمات.. وغيرها من الطبقات الكادحة التي تدفع أكثر من غيرها من فئات الشعب بالدم والأرواح أغلى الأثمان في المواجهة المتواصلة مع الاحتلال.

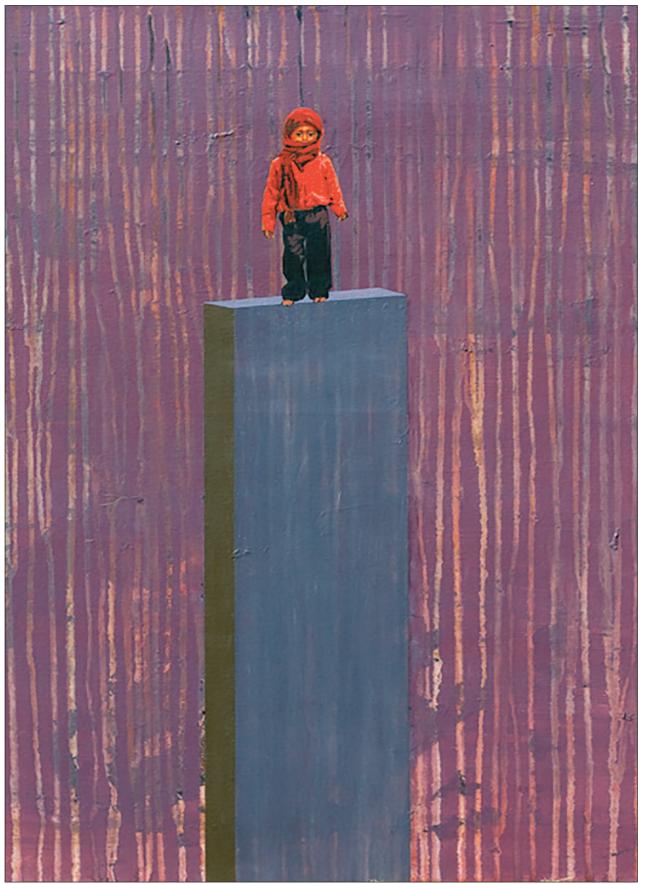
من المؤكد أن ما تم استثماره خلال السنوات الماضية في العقارات والمنشآت الصناعية والتجارية والخدمية والاستهلاك الخاص والمديونية لأسرية ليست بالقليل، وأن ما تم تكوينه من طبقة وسطى جديدة من المُوظفين الحكوميين وذوي الدخل المتوسط، لها مصالح قوية في الحفاظ على الوضع القائم. هذه الحقائق وغيرها، تشكل عقبة فعليةً أمام بلورة حالة نضالية جماهيرية وميدانية تتحدى الهيمنة الإسرائيلية الاستعمارية أو تغيِّر من موازين القوى ـ أو على الأقل ـ تؤكد بأن النضال من أجل التحرر الوطنى لن يخمد مهما كانت الإغراءات المادية، ومهما فشلت النخب والنظام الحاكم بتحقيق النصر، أيَّ نصر ملموس كان. لكن الهبّة المتواصلة والموت السريري لآمال أوسلو مع بقاء أهم إفرازاتها السلطة الفلسطينية) على قيد الحياة، تشير إلى أن الخيار بين الثورة والدولة أو بين المقاومة والرضوخ، الذي أخفاه منطق أوسلو القائل بأن التفاوض مع القوة الإسرائيلية هو الخيار الوحيد، بقى مطروحا على الأجندة الفلسطينية. وعلى فئات وطبقات الشعب اختيار طريقها.

### مرحلة التحرر الوطني

### تسبق النضال الاجتماعي والطبقي؟

منذ أواخر الستبنيات، عندما رفعت الفصائل الفلسطينية الماركسية أعلاماً حمراء من المآذن في الأردن، كان التيار العام لمنظمة التحرير الفلسطينية يصر أنه حتى الانتهاء من «مرحلة التحرر الوطنى»، يجب أن يتم تأجيل الطالب الاجتماعية حفاظاً على الوحدة الوطنية. وفي المراحل الأولى من النضال ضد الاستعمار قبل العام 1948، كانت النخب القومية التقليدية تعارض تعاظم نفوذ الحركات الاشتراكية والنقابية لفلسطينية التي وضعت على قدم المساواة المسائل الاحتماعية والنضال الوطني ضد الاستعمار. لكن كيف يمكن أن تظل فلسطين محصنة ضد عدوى التغيير بين الأجيال التي تجتاح المنطقة، رغم تحويل معظم زخمها إلى صراعات طائفية دينية وعرقية/قومية؟ وهل تستطيع الحركة الثورية الفلسطينية الأصغر سناً والأقل صبراً والأكثر إلحاحا للعمل على التحرر من «القيادة الوطنية» المتقدمة بالعمر، أن يُترك لها وحدها تحديد جدول أعمال التغيير الاجتماعي ومناهضة الاستعمار؟

صحيح أن «الليبرالية المحدثة» سجلت لدى الفلسطينيين (في القلوب والعقول على الأقل) إنجازات خلال العقدين الأخيرين، في تحويلٌ انتباه الرأى العام من الكفاح من أجل إنهاء الاحتلال إلى هموم التضخم والضرائب والمديونية والبطالة والفقر، وفي كسر العقد الاجتماعي الوطني التاريخي بين الحكم والشعب (بأن التحرير على مرمى حجر وأن التنمية حليفة الاستقلال الوطني). لكن مع اللهيب المتجدد للحركة الثورية لفلسطينية المقاومة للاحتلال، والفروقات الشاسعة الظاهرة بين الغنى والفقير وبين الموطّف والعامل المياوم وبين من يقطن ضواحى رام الله الراقية ومن يقبع في غيتوهات القدس العربية المهملة.. يظهر تكوين جديد للقوى الاجتماعية، يُفترض في أية حالة مماثلة (غير استعمارية) أن يمهد الطريق إلى مرحلة جديدة من المطالبة الاجتماعية والاقتصادية



هانی زعرب ـ فلسطین «انتظار»

لنظام السلطة، وهي مطالبة ليست في نظر المواطن العادي أقل شرعية والحاحا من مقاومة الاحتلال، بل إنهما ربما نضالان موازيان ومتكاملان. انطوى نجاح جميع تجارب التحرر الوطني العالمية على بناء تحالفات وتكوين «جبهات وطنية» بين مختلف القوى والطبقات الاجتماعية استمرت حتى الاستقلال، على الأقل. ولهذه التجارب أطرها النظرية، ابتداء من تأييد لينين لنضالات الشعوب الخاضعة للاستعمار لتقرير المصير والتحرر، مؤكدا على مصلحة البرجوازيات الوطنية في طرد الاستعمار وتحقيق السيادة الوطنية الاقتصادية. ثم استراتيجيات ماو تسى تونغ للتحالف مع القوى القومية الصينية، والتجارب الفيتنامية والأفريقية والعربية في بناء جبهات واسعة معادية للاستعمار ومناضلة في سبيل ـ وتحت إمرة ـ حركة التحرر الوطني. في غالبية التجارب،

التيارات التقدمية في صفوفها إلى جانب القيادة الشعبية الثورية. وعادة ما ضَمنت لمصالحها الرأسمالية حصة كريمة في توزيع موارد و «غنائم» الوصول إلى السلطة بعد رحيل المستعمر.

لا تشكل حركة التحرر الوطنى الفلسطينية استثناء لذلك التبار العالى العام. ومن دون الخوض في كل جوانب التحالفات الاجتماعية التي ساندتً الثورات ومقاومة الاستعمار خلال القرن الماضي، حصل تحول رئيسي مع انتقال قيادة الشعب الفلسطيني وحركة تحرره الوطني من طبقة الأعيان والنخب المدنية الاقتصادية والعائلية المدعومة بجماهير عمالية وفلاحية، إلى جيل جديد من اللاجئين وأبناء الطبقات الكادحة والمتوسطة، يحملون الفكر القومي والوطني والتحرري المنتشر في تلك الحقبة، ويمارسون بسواعدهم الكفاح المسلح. وأقام هؤلاء منذ الانطلاقة تحالفات مع فتات «البرجوازية الوطنية» (التاريخية والناشئة الجديدة) المنتشرة في أنحاء البلاد العربية وفلسطين. وعمل الجميع معاً في إطار منظمة التحرير ووفروا لها شرعيتها التمثيلية حتى فترة أوسلو على الأقل، وربما طوال

عهد عرفات، حيث أدارت «الجبهة الوطنية» بمشاركة كافة أطيافها وطبقتها الرأسمالية «المُلك العام» والقرار السياسي على أرضية مشتركة ومصالح متبادلة ومبرر وطنى. فمن «ضريبة التّحرير» المفروضة على الفلسطينيين العاملين في الدوّل العربية، والتبرعات المتواصلة للثورة من أثرياء فلسطين، وصولًا إلى المحاصصة الكريمة في إدارة الريوع وتوزيع الامتيازات والاحتكارات منذ أوسلو بين السلطة وشُـركات كبرى.. كانت دفة حركة التحرر هي التي تحدد شيروط وشكل مشاركة هذه الطبقة في الحكم وفي توزيع الموارد العامة والدخل القومي.

### خيانة البرجوازية الوطنية

### بعد التحرر الوطني.. وقبله؟

لكن في تحليل الكاتب الأفريقي المناهض للاستعمار، فرانز فانون، مؤلف «معذبو الأرض» (العام 1961)، فإن البرجوازية الوطنية في مراحل ما بعد التحرر الوطني خاصة، ليست سوى «طبقة وسطى وطنية» لها «مهمة تاريخية كوسيط» بين شعوبها والاستعمار. وتتضمن فئات ما يسميه فانون «البرجوازية التجارية والجامعية»، «الجيش والشرطة»، «البرجوازية الوطنية الشبابية»، «الحزب»، «الطبقة المتنفذة»، «البرجوازية الأصيلة»، «المثقفون النزيهون» و«برجوازية الخدمة المدنية». وفي رؤية فانون لهذه الطبقة الطفيلية غير المنتجة و «غير المفيدة عامة»، لا يوجد دور هام لا للصناعيين المحليين أو المهاجرين الذين يفتقرون إلى قاعدة تكنولوجية صناعية منتجة، ولا لرؤوس الأموال المالية التي تربطها علاقات دونية مع رأس المال العالمي، وبالتالي لها موقف معاد من حيث المبدأ تجاه مشروع التحرر الوطني، حتى ولو عقدت صفقات تحالفية معها في مراحل معينة.

ومع أن فانون كان يحلل أداء البرجوازيات الوطنية في الدول الستقلة حديثًا، فما هو مثير في رؤيته للأمور (وما هو شبيه بالحاَّلة الفلسطينية) هو وصفه «لخيانة» هذه الطبقة لأهداف التحرر الوطني في مرحلة ما بعد الاستعمار، بصفتها «طبقة متوسطة» (وليست طبقة رأسمالية برجوازية لها وعى وهوية مميزة). ومن بين صفاتها الطبقية: الاستعداد للتخلى عن الأهداف الاجتماعية والاقتصادية لمرحلة الثورة، التنافس على تولى الوظائف التي كانت تؤديها البرجوازية المتحالفة سابقاً مع الاستعمارٌ، وعلى الموارد الوطنية وتوزيعها بين كوادر الحزب والأمن والنخب المتنفذة، بالإضافة إلى فقدانها للقوة الإنتاجية المحلية واندماجها الوثيق مع رأس المال الاستعماري والدولي.

ومع اكتفاء رأس المال الفلسطيني خلال العقد الماضي بتأسيس أسواق استهلاكية محلية لعقاراته ووارداته السلعية وخدماته الخلوية وتسهيلاته الائتمانية إلخ..، وبالتالي خروجه عن دوره التاريخي في سياق حركة التحرر الوطني، فثمة خطر حُقيقي بأن يتحقق الآن في فلسطين ـــ التى ما زالت في مرحلة ما قبل التحرر \_ سيناريو فانون لما بعد الاستقلال. أي أن تكون قد وصلت الثقافة والعقيدة الليبرالية إلى مرحلة من الهيمنة على المصالح الخاصة والعامة، وكأن التحرر والاستقلال تحققا فعلًا، بينما تمدد الاستعمار الاستيطاني على الأرض يحول دون «وطن» يمكن تحريره بالمفهوم الاعتبادي للتحرير.

طالمالًا توظف هذَّه الطبقة نفوذها لصالح قضايا التحرر الوطني والتجديد الديموقراطي والمؤسسي، وفي دعم الصمود الشعبي في وجه الاحتلال، فإن المنطق القائل بضرورة تأخير التحرر الاجتماعي إلى ما بعد التحرر الوطني يفقد مصداقيته، مما يؤكد صواب إصرار بعضٌ المحللين بأن البرجوازيةٌ الوطنية لا يمكن أن تتضمن «تياراً تقدمياً»، كما أنها ليست «وطنية» لأن مصلحتها تكمن في استمرار الوضع القائم وارتباطاتها التجارية والمالية تُبقيها أسيرة في «مصفوفة السيطرة» الاستعمارية على الاقتصاد المحلى. وكلما تفادت هذه الطبقة دورها التاريخي في إغاثة المنكوبين من شعبها وتمويل التنمية الغائبة وممارسة سياسة «السؤولية الاجتماعية للشركات» إلى أبعد حدودها، واهتمت فقط بالأرباح وحماية استثماراتها وممتلكاتها وقروضها من أخطار امتداد المواجهات مع الاحتلال، ستتحقق اليوم، قبل التحرير، أسوأ الانحرافات في مسار حركات تحرر والدول المتحررة من الاستعمار المتمثلة بعدم تحقيق أهداف النضال الوطنى «بتحرير الأرض والإنسان».

ليست في الوضع الاقتصادي أو النظام السياسي الفلسطيني في نهاية العام 2015، و بعد 70 سنة من انطلاقة عصر التحرر الوطني العالى أية بشرى سارة من فلسطين، سوى أن أي وهم متبق قد تبدد حول إمكانية إنهاء الاحتلال وبناء الدولة وتحقيق السيادة بألتراضي واللطف ودون انتزاعها قسراً، وأن الغالبية الساحقة من المواطنين، الميسورين والمحرومين والمنتفعين منهم على السواء، باتوا يعرفون أن لا قيمة للرفاه الشخصى دون الثراء المجتمعي، وأن السلام الاقتصادي لا يمكن أن يكون سوى بديل مؤقت ومرحلي عن تحقيق السلام العادل والحقوق الفلسطينية، الوطنية والاقتصادية الاجتماعية على

### رجا الخالدي

متخصص في التنمية الاقتصادية عمل لدى الأمم المتحدة بين 1985 - 2013 ومقيم الآن في فلسطين





## بخصوص الثورة الثالثة

خاطب رئيس الجمهورية شعبه قائلًا: تناهت إلى مسامعي أخبار بأنكم تريدون القيام بثورة ثالثة. صح؟ دعونا نفترض أنه صح. وأنا أسألكم بدوري لماذا؟ كانت هناك ثورة أولى، عظيمة جداً، أزّاحت الجالس على الكرسي، وأتت بعدها ثورة جميلة جداً، أتت بي إلى الكرسي. إذاً لماذا الثورة الثالثة ما دام الكرسي ملآناً؟ هذا غير

هل ينقصكم شيء؟ هل أسأت لأحد منكم، هل نطقت لفظاً غير لائق أمام أحدكم حتى تقوم ثورة علىِّ؟ ولا تسيئوا فهم كلامي، البعض قد يتصور أنى ضد الثورة الثالثة حرصاً على مصلحتى الشخصية، أحداً والله، وإنما لأن الثورة الثالثة ستفشل. أنا أعرف هذا، لأنى أعرف أن الداخلية قد تقتل منكم أناساً كثيرين. هذا هو. أنا لا أريد

أقترحه عليكم، بوصفى رئيساً وبوصفكم شعباً، أن تملوني أسماء الناس الذين يريدون ثورة ثالثة. أنا لا أريد أن أعتقلهم أو أعذبهم، أريد أن أسألهم عدة أسئلة منطقية. أنا عاشق للمنطق بالناسبة. في رأيي الشخصي أنه ليست هناك أسباب

أن تقوم ثورة ثالثة خوفاً عليكم. فهمتهم الآن؟ وما

موضّوعية تدعو للثورة. تذكروا دائماً أنى موجود وأنى لن أفارقكم، وأنى أخاف عليكم، وإن كنتم تريدون ثورة ثالثة حتى تجبروني على الموافقة على حكمكم إلى الأبد، فاعتبروني وافقت خلاص. شفتم؟ المصارحة هي أهم شيء، وبالتفاهم والحوار قد نحقق ما نفشل في تحقيقه بالثورة والعنف والدماء. فقط صارحوني.

تعرفون؟ أنا لست ضد الثورة. بالعكس. أنا رئيس ثوری بجدارة، أتيت بعد ثورتين، ولكن موضوع

الثورة الثالثة هذا مريب بعض الشيء، لأن لديّ تقارير استخباراتية تؤكد أن الثورة قد يجري استغلالها من بعض من لا يريدون بقائي في الحكم، وبالتالي قد تؤدي لعكس أغراضها. ولكى أثبت لكم أنى لست ضد الثورة بالمطلق،

أقترح عليكم القيام بثورة رابعة، يعنى دعونا نتجاوز الثالثة وندخل في الرابعة، أنا عاشق للرقم أربعة بالمناسبة، ولنؤجل موعدها قليلًا، مثلًا، إذا حدث لى شيء ما، يعنى إذا جرت إزاحتي عن السلطة مثلًا، فلتقوموا بثورة رابعة من أجل إعادتي إليها. ليس عندي أي مانع ساعتها، بل بالعكس، أوافق وأتحمس وأدعم وأشجع.

فقط انسوا قليلًا الآن موضوع الثورة الثالثة وبلغوني بأسماء من دعوا إليها، وبالتفاهم والحب والمودة سنصل إن شاء الله لكل ما نريده.

نص نائل الطوخى ورسم مخلوف

31 كانون الأول 2015 ـ العدد 13258 Thursday December 31, 2015



55.548 وحدة استيطانية جديدة يجري التخطيط لبنائها في الضفة الغربية، بينها 8300 في المنطقة E1 المتاخمة للقدس الشرقية. ويعيش 380 ألف مستوطن إسرائيلي في 135 مستوطنة بالضفة الغربية بينما يعيش 200 ألفَ في داخلَ القدس الشرقية.

افتتح شارع اسكندرون عام 1883، بعد سنة على إنشاء حى الجميلية الذي نسب اسمه إلى اسم الوالى جميل باشا. سمى الشارع بهذا الاسم لكونه بدايةً الطريق إلى مدينة اسكندرونة. بدايته اليوم من القصر الذي اتخذته «جمعية العاديات» (أسست عام 1924) مقراً لها، متجهاً نحو شارع الملك فيصل الأول، ثم ينعطف باتجاه حديقة السبيل ويمتد إلى قرية «حريتان» أول قرى المدينة نحو الشمال الغربي. اتخذه الحجاج فيما مضى طريقاً للسفر إلى ميناء اسكندرون، ليبحروا بعدها بالسفن البخارية نحو ميناء جدة. بنت البلدية في 1893 قصراً جديداً خصصته لسكن ولاة حلب، تتحول بعد ذلك لدار المعلمات وأطلق عليه اسم الطالب الأزهري سليمان الحلبى الذى قتل الجنرال الفرنسى كليبر قائد الحملة الفرنسية على مصر والمشرق العربي، بعد عودة نابليون مهزوماً إلى فرنسا. وكانت الدارّ تابعة لمدير المكتب السلطاني (ثانوية المأمون الآن)، قبل أن تتحول إلى مدرسة التجهيز للبنات، ثم إلى ثانوية معاوية. وبدأ أعيان المدينة أثناء ذلك بالانتقال من داخل أسوار المدينة، وتشييد بيوتهم وفق النمط المعماري الحديث في حي الجميلية، أولهم كان مرعي باشا الملاح الذي بنى قصره في الطرف المقابل لقصر ولاة المدينة.

يظهر الشارع العريض والأزقة المتفرعة عنه كاختزال لعدد من الأسواق المفقودة. يتوضع الباعة في جغرافيا محددة، بما يشبه الأسـوار، كأنها إقطاعات مغلقة، مرسومة بقوة لا ــ مرئية..قسم لباعة الخضار والفاكهة والمنتجات الحيوانية، وقسم للألبسة والأحذية والجوارب، وآخر للأدوات الكهربائية المستحدثة كالشواحن والبطاريات.

أمطرت السماء بالمظلات تقاوم زخات مطرها، وبالجزمات المطاطية العالية، تخوض في سيولها السوداء التي تجرف أقماع الفستق وعبوات المياه الغازية ولطخ الدم المتبقية كأثر مخذول من قتلى القذائف، وتجرف الدموع التي نفرت على زوايا الأزقة المفضية إلى هذه الجادة، على المضرجين بدمائهم، والحازمين حقائبهم، والذين خرجوا ولم يعودوا. مطر يهرول العابرون تحت زخاته. يحمى الباعة بضائعهم بالنايلون. ينادون على بضائعهم بأصوات تمزق غلالة الأفق المسكون بالحذر والترقب، ذاكرين محاسنها، حاجبين مساوئها.. لا تعيق السبحات الطويلة البارزة بين الأكف المضمومة،

الغش بنوعيات الأطعمة وأوزان البيع، كما لا يجدى دق الأكف المنبسطة على الصدور كطريقة في تأكيد كفالة الجودة.

يضج المشترون من ارتفاع الأسعار، ويذكرهم الباعة على الفور بما يعرفونه كانقطاع الطرق وطولها وتعثرها، وبعض باعة المعدات الكهربائية والإلكترونية يأتي على ذكر ارتفاع الدولار، ويسعّر بضاعته وفق سعره اللحظى.. لكن ما يعرفونه ويتجاهلونه، أن المتسوقين يريدون إطعام أولادهم فحسب، ومعظمهم عاطل عن العمل ونازح يدفع أجوراً مرتفعة للسكن ولشراء الكهرباء والمياه، ولم تعد تهمهم الأطعمة الفاخرة المثقلة باللحوم، المزينة بالمكسرات الطرية المحمصة بالسمن، المطعمة بتوابل بلاد الهند. يريدون أطباقاً من البرغل المتقشف والخضار المسلوقة. ينادى باعة الخضار بأصوات لاهبة على الملفوف والسبانخ، ويذكّر باعة السمك بفوائده. يعرض أصحاب البسطات على النساء العابرات جوارب النايلون بعد أن يمطّوها لامتحان جودتها، فتظهر كحبال الغسيل، ويهرع صغارهم خلف عابرات أخريات، عارضين عليهن ألبسة داخلية، تظهر كشبك صيد الأسماك.

ـ هل هذا شارع اسكندرون، يسأل العجوز .

ويتابع، وهـو يحدق في العابرين مع أوراق معاملاتهم الحكومية.

\_ أيؤدي هذا الشارع إلى الإسكندرون، كناية عن لواء اسكندرون، الإطلالة البحرية الدائمة لولاية

- لا، هذا الشارع يُدّكر بذاك اللواء فحسب الذي اقتطعته السلطة التركية عام 1939 بتواطؤ مع سلطة الانتداب الفرنسي.

ـ إلى أين يؤدي إذاً؟ - إن كنت متجهاً من بدايات حي الجميلية نحو الجنوب، ستصل إلى مبنى المحافظة وفرع الهجرة والجوازات الجديد، وإن كنت متجهاً من حي الإسماعيلية نحو الشمال، ستصل إلى سكة القطار. ليرتفع بعدها أمامك البنى الشاهق للمؤسسة العامة للسكك الحديدية.

ـ حذار من سرقة محفظة النقود.

ـ لا نقود في محفظتي ذات قيمة تستوجب السرقة. لم يعد أحد يكترث بإخفاء محفظته، يتركونها في أماكن ظاهرة، أو تتلهى بين أصابعهم، مستبدلين مكانها العميق تحت ثيابهم بمحفظة الحنين إلى طمأنينة تسدل ستائرها على أوجاعهم وتهدهد

ـ وكأنه لم يعد أحد يسرق في الليل.

ـ وما سرقات الليل إلا كذبة ابتكرها اللصوص ليحرمونا النوم ويدفعوننا لاستئناس كلاب الحراسة والاستعانة بها. في النهار يسرقون، بينما يرفلون ساعات الليل بين نعيم مسروقاتهم. ـ هل سيعود لواء اسكندرون؟ ـ من يسرق بلد لا يعيده.

شارع وسنان، بأحجيات عتيقة لما تزل تتضوع عطورها المسكرة.. قصر الوالي جميل باشا ومتمماته من قصور مترفة لأعيان المدينة، زاوية للعمارة الباذخة التى شغل طابقها الأرضى المصور ديكران منذ عام 1958.. وسينما الفاروق التي تحولت إلى مطعم لبيع الفلافل ثم إلى مقهى متقشف لا يتناسب قط مع اسم «قصر يلدز» الذي اختاره أصحابها، ثانوية معاوية للبنات التي خرّجتُ أجيالًا من الشابات المأخوذات بآمال باتت تتضرع خُجلًا، وعلى مقربة منه تعالت الموسيقي والغناء من حدائق الأزبكية بأصوات «فيروز ماميش» و»فتحية أحمد» و»ناجية الشامية» حلِّقن بتخوتهن الشرقية إلى السماوات. ربما لم يكن أيامها ما يدعو إلى الفرح الصاخب، لكن ما انفك أهل المدينة يغربلون الوقائع المؤسية لينتزعوا منها انفراجة خافقة يرمموا بها حيواتهم المشمة.

استيقظ الشارع بعدها راعفاً، ليجد ذاته في سبخة مدينية تجرده من قيمته وقيمه، وتتركه مرمياً في عراء اللفظيات التحررية التي حجبت ما وارءها من اندفاع ضار نحو الامتياز والاحتكار.

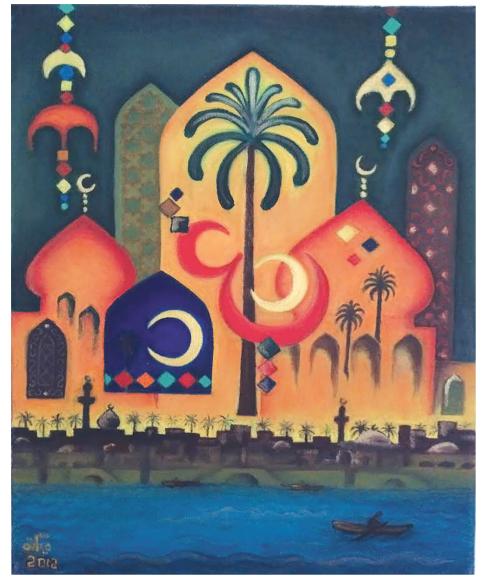
يعملون اليوم على ترقيق الوقائع كما ترقق القرويات عجينة الخبز، بأن يذكروا العدد القليل للقتلى مقارنة بالعدد الكبير ممن لم يقتلوا بعد. وتقطير الحقائق في أنابيق كي لا يجفل الناس من ملمس شرارتها الصاعقة. «ما علينا»، يقول العابر العجوز، يجب إتمام هذا الطريق. ـ لكن الطريق موصود كأبواب القلاع، وكأننا ندور

> ـ ألا يصل هذا الشارع إلى اسكندرون؟ ـ لا، إنه يُذكّر بها فحسب...

في المكان ذاته.

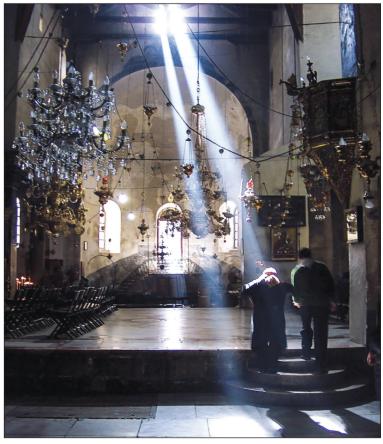
عزیز تبسی كاتب من سوريا

ميادة الحمصى ـ العراق



### arabi.assafir.com

- المزيد على موقع «السفير العربي» . - الكوتا النسائية في الانتخابات بالمغرب - إكرام عدنني
- ـ موريتانيا: الوصول للجامعة معضلة ـ أحمد جدو
- ـ تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي ـ Assafir Arabi ـ تواصلوا معنا على «تويتر»: ArabiAssafir @



## أعياد الميلاد ورأس السنة فى فلسطير



تصوير: محمد بدارنة - فلسطين



تصوير: روان الشوملي –فلسطين

حاملات الدرع الإضافي

كثيرة. هذا شبه مستحيل بالنسبة للبنت.

### مدونات

## دقيقتان في سبجن العقرب

الحمد لله، زرنا أبي، بعد طوابير وذل وانتظار 9 ساعات غير السفر. الزيارة دقيقتان بدون مبالغة، من وراء حائلٌ وبسمَّاعة برضه.. مفيش تغيير. الفرق أننا شفناه المرة الأولى بدون حائل خالص، وهو بيعدّى من مكتب الضابط لكابينة الزيارة.

كان قريب مننا جداً جداً، مسافة خطوتين، لكن ممنوع اللمس والسلام طبعا نشاور بس. شيء زي ده نسّاني تعب اليوم كلّه، بجدّ. الحمد لله. خاسس أوي ولبسه مش نظيف خالص وبشع. نفس اللبس اللي لابسه من شهور. دخّلوله أكل بكميّة لا تكفّى طفلًا. بيّجهّزوا السجنّ وبينظفوه وبيدخّلوا أكلّ «لزوم التمثيلية»، استعداداً لزيارة مجلس ٌحقوق الإنسان. وطالبين

#مقبرة\_ العقرب #دقىقة\_مش\_كفاية #أكذوبة\_فتح\_الزيارة ەن صفحة Asmaa Mosaad Kotb (فايسبوك)

### مقبرة

### زيارة سجن العقرب ما فيهاش أكل بيدخل ولا لبس ولا غطا، يا دوب الدوا.

زيارة العقرب تحتاج قبلها 7 ساعات انتظار على الأقل (لو آنت شخص محظوظ). زيارة العقرب، في الانتظار بتاعها، بتسمع حاجات بتخلِّي أيّ حد، حتى لو ليه سجين جوّه، يحس بالقهر والكسرة والحسرةٌ والقلق والإحباط والقتل. كل ده جانب واحد من سجن العقرب، وده الجانب الأكثر لطفاً وإنسانية! العقرب سجينه ما بيشوفش بشر غير يوم المحكمة ويوم الزيارة. أكله وشربه بيدخلوله من فتحة في الباب، وحمَّامه في زنزانته، والشمس ما بتدخلش زنزانته بأيَّ شكل من الأشكال. (بصَّوا على تصاميمةٌ على النت). العقرب سجناؤه موّزعون على مباني جوا، السافات بينها ضخمة جداً، واللي في مبنى منهم ما

يعرفش حاجة عن سجين غير في المبنى بتاعه سجين العقرب ما يعرفش أيّ حاجة عن الحياة غير لو الزيارة اتفتحت، بيعرف إن اللي جم الزيارة دول «شكلهم» كويس، بس مش متأكد. سجين العقرب ما بيعملش أي حاجة خالص غير إنه مسجون وبيفكر إنه مسجّون في ظلّ الأوضاع اللي فوق دي، بالإضافة لأنه معرّض للتعذيب بدون سبب، وأنه يتعرض لأمراض بتاكل في جسمه. يلبس نفس اللبس لدرجة أنه يصاب بجرَب وتقرّحات، لو عنده مرض بيفكر أنه أكيد في لحظة هايموت بسبب أزمة تخص المرض ده، أو أن جلده وعظمه هايحصل فيهم حاجة، او هايتعذب لحد ما يموت.

من الآخر، هو مش سجين في العقرب، هو قتيل في العقرب! #مقبرة\_العقرب

من صفحة الحرية للجدعان (فايسبوك) ـ عن منشور لـ Mosab Mahmoud Amer

كانت ابنتي البكر حاملًا الآن وأنتظر أن أتحول إلى جدّة. ولما كانت حدود عالى – بسبب البيئة الاجتماعية الشعبية التي نشأت فيها – قد تجاوزت كثيراً هذه التخمينات. يستطيع الشَّاب أن يتمرّد على وضعه الاجتماعي بأضعاف مضاعفة للإمكانيات نفسها عند البنت في مُجتمعناً. يستطيع اتخاذ قرارات جريئةً. يضع حقيبته القماشية على كتفه ويعبر الحدُّود. يحوَّل نفسه إلى متشرد ومجنون، ثم يعود إلى مجتمعه لاحقاً ليتقبله ويضمه إليه دون ضرائب

لو كان الله قد خلقني بنتاً في العراق العظيم، لكنت الآن على الأغلب أماً لدرزن أولاد، وربما

تقطع البنت عندنا ضعف المسافة التي يقطعها الشاب كي تكون كما تريد هي، لا كما يريدها الآخرون. ليست كل بنت تريد أن تكوَّن مثقفة ومتعلمة وَّمستقَّلة ماديًّا تجدُّ التشجيُّع من عائلتها ومجتمعها، وتجد الطرق معبّدة أمامها. غالباً عليها أن تنحت لنفسها درعاً مناسبا لحجمها وقدرتها على حمله. تدافع به عن نفسها، ضد كونها مجرد فريسة لآلاف الصيادين في الشارع والجامعة ومكان العمل والسوق والأماكن العامة، خصوصاً إذا كانت جميلة المظهر، أوَّلا تتصرف بتحفظ زائد وتريد أن تبدو طبيعية، تضحك وقتما تشاء وتصفق وتروي النكات، تجادل البائعين وسائق التاكسي وترفع صوتها برأيها دون خوف من أُحد.

حاملات الدرع الإضافي في العرآق العظيم، لا أتمنى أن أكون في مكان إحداكن، إنه كابوس رهيب. وتضامني الوحيّد مّع محنتكن أنني لا أملك جعبة سهام خّادشة للدروع. مِنْ صَفْحَة Ahmed Saadawi (فَادِسَتُوك)